مشكاة من نور الإمام الصادق عليه السلام

المقدمة:

إنّ دراسة شخصية عظيمة كشخصية الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لا يمكن أن تُتناول تناولاً سطحيّاً أو جزئيّاً؛ فهي شخصية جامعة لمكارم الفضائل الإلهية والإنسانية، ومظهرٌ من مظاهر الكمال المطلق، وتجسيدٌ حيّ للإنسان الكامل الذي أراده الله تعالى حجّةً على خلقه، ودليلاً إلى صراطه المستقيم.

ومن هنا، فإنّ البحث في سيرة الإمام الصادق (عليه السلام) يقتضي الغوص في أعماق متعدّدة؛ تاريخية، وعقائدية، وعلمية، وأخلاقية، وروحية، واجتماعية. وما نقدّمه في هذه الصفحات ليس استقصاءً شاملاً لكل ما في سيرته العطرة، بل هو إطلالة موجزة تهدف إلى التذكير بمقامه العظيم، وإلى فتح نافذة للقارئ المتطلّع إلى منابع المعرفة الحقة ليستزيد من ينابيعها الصافية، ويغترف من علومها الغزيرة.

أولاً: لمحة تاريخية عن عصر الإمام (عليه السلام)

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سنة (83 هـ) وعاش إلى سنة (148 هـ)، في حقبة مضطربة من تاريخ الأمة الإسلامية، تميّزت بجملة من التحوّلات الكبرى، أبرزها:

- ضعف الدولة الأموية وانهيار سلطانها.
- نشوء الدولة العباسية على وقع صراعات دموية طاحنة.
- كثرة الفرق والمذاهب الكلامية والفلسفية، وتعدد الآراء والاجتهادات.
- انفتاح الأمة الإسلامية على الحضارات الأجنبية؛ الفارسية واليونانية والهندية.

وفي خضمّ هذا المشهد السياسي والفكري المزدحم، وجد الإمام الصادق (عليه السلام) الفرصة سانحة لبثّ علومه ونشر معارفه، فأسّس مدرسةً فكريةً رائدة، أمدّت الأمة بالوعي الصحيح، وحمت الإسلام من التحريف والانحراف.

ثانياً: الصفات والملكات الأساسية في شخصيته (عليه السلام)

1- **العصمة:** وهي صفة لازمة للإمام المنصوص من قِبل الله تعالى، فلا يزلّ في قول ولا فعل، ولا يخطئ في حكم أو تدبير.

2- **العلم الواسع:** بلغ في سعة علمه مبلغاً لم يسبقه إليه أحد في عصره، فكان إماماً في الفقه والتفسير والكلام والفلسفة، بل وفي الطب والكيمياء والفلك. حتى قال أبو حنيفة: **(ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق)**[1].

3- **الحلم والصبر:** لاقى من ظلم بني أمية وبني العباس ما ينوء به الجبال، فصبر صبراً جميلاً، وربّى أتباعه على الثبات ومواجهة المحن بالإيمان.

4- **العبادة والزهد:** عُرف بصفته الجامعة: (أعبد الناس وزاهد العرب). وكان يقسّم ليله بين العبادة، والنوم، وخدمة الأهل، في تجلٍّ رائع للتوازن الروحي والإنساني.

5- **الكرم والسخاء:** لم يُرَ سائلٌ وقف ببابه إلا وأُعطي حاجته، وكان يُطعم الفقراء ولو على بُعد الديار.

6- **المنطق والحكمة:** آتاه الله من الحكمة ما جعله مقنعاً لخصومه قبل محبيه، فكان يحتج بالبرهان ويقيم الحجة بالعقل، حتى غدا مرجعاً علمياً لجميع المذاهب.

ثالثاً: الأبعاد المتعددة لشخصيته (عليه السلام)

إنّ شخصية الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) هي بحرٌ زاخر لا يُدرك غوره، وصورة حيّة للكمالات الإلهية في مقام الإنسانية التي أرادها الله تعالى لخليفته في أرضه. وللإطلال على ملامح هذه الشخصية العظيمة، لا بدّ من تسليط الضوء على بعض زواياها المباركة، علّنا نستنشق شيئاً من عبير قدسها النوري والوجودي. وهي أبعاد متشابكة ومتكاملة، يصعب فصل بعضها عن بعض، غير أنّا نحاول أن نبرز أهمّها فيما يأتي:

---

(1) شيبانى، محمد بن حسن، الآثار، ج1 ص 86.

1- البُعد النوري (النشأة والهوية المقدّسة)

الإمام الصادق (عليه السلام)، كسائر أئمّة الهدى عليهم السلام، هو تجسيد للنور الأوّل الذي خلقه الله تعالى قبل جميع المخلوقات. فهو من صفوة (آل محمد) الذين بشّر بهم النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) في أحاديث الخلق النوراني. وهذا البُعد يمنحه صلة وجودية بالذات الإلهية والنبوة الخاتمة، إذ هو امتدادٌ لها ووارثٌ لعلومها.

ومن هنا كانت عصمته المطلقة، فلا خطأ ولا نسيان ولا معصية تطرق بابه، بل هو الكمال في أبهى صوره، والقدوة التي لا يعتريها نقص، وحجّة الله القائمة على خلقه.

2- البُعد المعرفي والعلمي (مدرسة الإمام الصادق)

لقد لُقِّب (عليه السلام) بـ(الصادق) لصدقه الذي لا يخالطه كذب، وكان إمام العلم بلا منازع في عصره، أسّس في المدينة المنوّرة جامعة إسلامية كبرى خرّجت آلاف العلماء في شتى العلوم؛ من الفقه والكلام والفلسفة، إلى الكيمياء والفلك والرياضيات. ومن أبرز تلامذته جابر بن حيان.

وكان علمه (عليه السلام) مؤسساً على العقل والبرهان، لا على مجرّد النقل، وقد شهدت مناظراته مع المخالفين على قوّة حجته، كما برز في تفسيره للقرآن الكريم وبيان السنّة النبوية بصفته حافظاً للوحي ومفسراً له.

وهو، إلى جانب ذلك، صاحب العلم اللدني **((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْمًا))**[1]، الذي يفيض على قلبه الشريف بما وراء حدود العقل المجرّد، فيكشف له أسرار العرفان وحقائق الشهود.

3- البُعد الوجودي (دوره في نظام الخلق)

في الرؤية الكونية الإسلامية، يكون الأئمة (عليهم السلام) وسائط الفيض الإلهي، وأبواب رحمته على خلقه. فبهم تستمر الحياة، وبيركتهم يُنزَّل الغيث وتُرفع البلاء، ولولاهم لساخت الأرض بأهلها.

---

(1) سورة الكهف، الآية 65.

وقد أكدت الروايات هذه الحقيقة، وجعلتهم الحجة الباطنة كما كان الأنبياء الحجة الظاهرة. ومن هنا كانت معرفة الإمام ركناً لازماً في العقيدة، إذ ورد: **(مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)**[1].

4- البُعد التربوي والأخلاقي (صناعة الإنسان الكامل)

كان الإمام الصادق (عليه السلام) المثل الأعلى للإنسان الكامل، تتجلّى فيه العبادة والخلق والزهد والكرم والصبر والحلم. وكانت سيرته مدرسةً عمليةً للتخلّق بالأخلاق الإلهية.
كما وضع أصولاً راسخة في تهذيب النفس ومجاهدتها، وهو ما عُرف منسوباً إليه في كتاب مصباح الشريعة، وما تضمنته رواياته من دروس في التفكر والتأمل ورياضة النفس والسلوك الروحي إلى الله تعالى.

5- البُعد السري والعميق (الباطن والولاية)

كان الإمام (عليه السلام) العارف بباطن القرآن وتأويله، وأسرار الشريعة وحِكمها، إذ كان يبيّن لخاصته أنّ لكلامهم بطوناً، ولبطنه بطن، حتى سبعة أبطن. فلكل حكم ظاهرٌ وباطن، ولكل ظاهر حقيقة روحية عميقة.
ومن هنا كانت له الولاية التكوينية بإذن الله، يظهر بها من الكرامات والخوارق ما يشهد بقربه الإلهي. ولم يكن شأنه مقتصراً على الأحكام والمعارف، بل كان أيضاً مرشداً للسالكين في سفرهم الروحي، يقودهم في مدارج الكمال، ويزوّدهم بالعون والمدد. وقد وصلت إلينا مناجياته وأدعيتُه التي تكشف عن عمق عبوديته وعلو مقامه، فهو وقادةُ أهل البيت (عليهم السلام) أرباب هذه القافلة الإيمانية، وهداة السائرين إلى الله تعالى.

---

(1) الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، ج1 ص329.

رابعاً: المواقف العملية المضيئة في شخصيته (عليه السلام)

لقد تجلّت شخصية الإمام الصادق (عليه السلام) في مواقف حيّة تنبض بالحكمة والهيبة والسمو، فكانت أقواله وأفعاله مرآةً عاكسة لعظمة مقامه، ودروساً باقية للأمة.

- **موقفه مع المنصور العباسي:**

جلس المنصور يوماً والإمام (عليه السلام) إلى جانبه، فإذا بالذباب يطير حوله ويلحّ عليه حتى أزعجه، فقال مغتاظاً: يا أبا عبد الله، لِمَ خلق الله الذباب؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) بعبارة موجزة بليغة: **(لِيُذِلَ بِهِ الْجَبَابِرَةَ)**[1].

فسكت المنصور، وقد علم أن أي ردٍّ منه سيجلب عليه جواباً أشد وقعاً، وأمضى أثراً. وهكذا، في كلمة واحدة، كشف الإمام عن حكمة الله في الخلق، وأبان كيف أن أصغر المخلوقات قد يُذل به أعظم المتكبّرين.

- **موقفه مع صديقه الذي أساء الأدب:**

كان للإمام (عليه السلام) صديق مقرّب لا يكاد يفارقه، فإذا به في لحظة غضب يقول لعامله: يا ابن الفاعلة! قاصداً بذلك الطعن في عرض أمه. فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا أن رفع يده الشريفة، وضرب بها جبهته قائلاً: **(سُبْحَانَ اللَّهِ تَقْذِفُ أُمَّهُ قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَ لَكَ وَرَعاً فَإِذَا لَيْسَ لَكَ وَرَعٌ. فَقَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ أُمَّهُ سِنْدِيَّةٌ مُشْرِكَةٌ فَقَالَ أَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ نِكَاحاً تَنَحَّ عَنِّي)**[2].

ومنذ ذلك اليوم قاطعه الإمام (عليه السلام)، ولم يره أحد يسير معه حتى فرق الموت بينهما. لقد أراد الإمام بهذا الموقف أن يرسّخ قاعدة كبرى في الأخلاق الإسلامية: أنّ التعدّي على أعراض الناس، ولو كان الخصم مخالفاً في الدين أو المذهب أو الرأي، هو كبيرة من الكبائر لا يرضاها الله، ولا يقبلها رسوله.

---

(1) ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام)، ج4 ص251.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج2 ص324.

وقد بيّن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) المقياس الدقيق للشهادة والاتهام حين قال: ترى الشمس؟ قال السائل: نعم، فقال (صلى الله عليه وآله): **(عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ)**[1]. فالأحكام لا تُبنى على الظنون والأقاويل، وإنما على اليقين والبيّنة. وقد نهى الله تعالى صراحةً عن اتباع الظن فقال: **((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً))**[2].

خامساً: الإرث الخالد للإمام (عليه السلام)

خلّف الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) تراثاً علمياً وروحياً عظيماً، سيبقى مشعلاً هادياً على مرّ الأزمان، ومن أبرز معالمه:

1- **التراث العلمي الزاخر:** رُوي عنه ما يزيد على ثلاثين ألف حديث في شتى أبواب المعرفة، فكان من أعظم مصادر العلوم الإسلامية.
2- **تربية جيل من العلماء الكبار:** أخرج من مدرسته تلامذة عظاماً مثل: هشام بن الحكم، مؤمن الطاق، زرارة بن أعين، محمد بن مسلم، وجابر بن حيان الذي لُقّب بأبي الكيمياء.
3- **مدرسة فقهية مستقلة:** أرسى دعائم المذهب الجعفري، الذي أصبح من أكبر المذاهب الإسلامية، بما امتاز به من قوة الدليل، ورسوخ البرهان، وعمق الاستنباط.
4- **النموذج الإنساني الكامل:** جسّد في حياته أرقى صور الكمال في العلم والعبادة والأخلاق، وبقي أنموذجاً خالداً يلهم السالكين إلى الله، ويضيء دروب المسلمين في مختلف العصور.

---

(1) قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، فقه القرآن، ج1 ص397.
(2) سورة الإسراء، الآية 36.

دروس من إيحاء حياته الشريفة

إنّ حياة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) تمثل مدرسة متكاملة، تفيض بالأنوار والعبر، وتقدّم نماذج راقية لكل مجالات الوجود الإنساني. فهي ليست حياة عابرة، بل مشروع حضاري وفكري وروحي، يستمد منه المؤمنون قواعد البناء، وأسس الهداية، ومنارات النجاة. ويمكن أن نستلهم من سيرته المباركة دروساً جليلة في ميادين شتى، منها:

أولاً: الدروس العقدية والعلمية

1- إرساء المعرفة الإسلامية الأصيلة:

أقام (عليه السلام) منهجاً معرفياً متكاملاً يقوم على الجمع بين نور الوحي، وبرهان العقل، وذوق العرفان، فكان بذلك مبدداً لوهم الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية. ولذا دعا إلى تمحيص كل معرفة بعقل ناقد، وموازين شرعية ثابتة.

2- مواجهة الانحرافات الفكرية:

واجه شتى الأفكار والتيارات بالحكمة والبرهان، فكان يربّي تلامذته على فهم الآخر، ثم محاورته بأدب وقوة منطق، لا بالتجاهل أو الإقصاء، حتى اندحضت الشبهات من جذورها.

3- التزام الوسطية ورفض الغلو:

أعلن رفضه الصريح للغلو فيه وفي أهل بيته (عليهم السلام)، مؤكداً أنهم عبيدٌ لله المكرمون. فكان منهجه الاعتدال في الفكر والسلوك، ونبذ كل تطرف أو مغالاة، وإن ادّعاها له محبّوه.

ثانياً: الدروس التربوية والأخلاقية

1- القدوة العملية في التربية:

كان (عليه السلام) يجسّد ما يدعو إليه قبل أن ينطق به، ليكون المربّي الحق قدوةً في الصدق، والأمانة، والتواضع، والعبادة، وسائر القيم السامية.

2- تربية القيم قبل المعلومات:

لم يحصر التربية في نقل العلوم، بل جعل لبّها غرس التقوى ومراقبة النفس وحسن الخلق، لأنّ المعرفة بلا قلب نقي تصبح عبئاً لا هداية.

3- الرحمة في التعامل مع المسيئين:

تحلّى بالحلم وكظم الغيظ، فكان يحوّل أعداءه إلى أصدقاء بسلوكه الأخلاقي، مؤمناً بأن اللين والرحمة أبلغ في تثبيت دعائم الحق من العنف والجدال العقيم.

ثالثاً: الدروس الاجتماعية والسياسية

1- بناء المجتمع من الداخل:

أمام التحولات السياسية من بني أمية إلى بني العباس، رفض الانخراط في شرعية الظالمين، ووجّه جهوده إلى بناء الأمة فكرياً وأخلاقياً، وتربية رجال راسخين في الحق.

2- المقاومة بالوعي لا بالعنف:

اتخذ (عليه السلام) من التقية سلاحاً لحماية الكيان الشيعي ونشر العلم، مع ترسيخ العقيدة بوصفها أقوى سلاح لمواجهة الطغيان.

3- التكافل الاجتماعي:

أغاث الملهوفين وأعان المحتاجين، وأسّس لثقافة التضامن الاجتماعي، داعياً إلى خدمة الفقراء وبناء مؤسسات الخير، لتكون الأمة قوية بأخوتها وتراحمها.

رابعاً: الدروس الاقتصادية

1- إتقان العمل والمهنة:

حثّ على الإحسان والإتقان في كل عمل، وجعل ذلك عبادةً ومسؤولية اجتماعية، تعكس صفاء الباطن وحسن الظاهر.

2- النشاط الاقتصادي المباح:

شجع على السعي للرزق الحلال من تجارة وزراعة وصناعة، مؤكداً أنّ الاستغناء عن الناس، وقضاء الحوائج بالمال الحلال، من كمال الدين وشرف المؤمن.

خامساً: الدروس الروحية والعبادية

1- التوازن بين الدنيا والآخرة:

مزج بين قيادة المدرسة العلمية، ومناجاة المولى بالعبادة، وبين مواجهة السلطة الظالمة، وخدمة الأهل والناس، فكان قدوة في الاعتدال: لا إفراط ولا تفريط.

2- العبادة القلبية:

شدّد على الخشية ومراقبة الله بوصفها جوهر العبادة، لا مجرد مظهر خارجي، فهي التي تصنع الإنسان وتقومه، وتمنحه القوة على مواجهة زخارف الدنيا.

سادساً: الدروس الإدارية والقيادية

1- إدارة الاختلاف والتعددية:

أدار مدرسة ضمّت آلاف الطلاب من مختلف المذاهب والأفكار، بالعدل والاحترام، فكان الحوار عنده بالحكمة والبرهان، بعيداً عن الظلم والاعتداء.

2- تفويض المسؤوليات:

أرسل وكلاءه إلى الأقطار لنشر العلم وتبيين الحق، مؤكداً مبدأ بناء الكوادر وتوزيع المهام، بعيداً عن المركزية، ليكون الحق مشاعاً بين الناس، والحجة قائمة على الجميع.

لوازم الولاية

الولاية للمعصومين (عليهم السلام) ليست مجرد دعوى باللسان أو عاطفة في الجَنان، بل هي التزامٌ شامل يتجسّد في كل أبعاد الحياة، بحيث يكتمل عقدها بعد عقد القلب والإقرار بحقهم، بالمشايعة والاتباع، حتى يكون الإمام أولى بالعبد من نفسه.

وعليه؛ فإنّ العلاقة بالإمام الصادق (عليه السلام) ليست علاقةً تاريخية محضة، ولا عاطفةً وجدانية فحسب، بل هي رابطة وجودية والتزامية، تقتضي واجباتٍ عملية، وتفرض أموراً جوهرية، تشكّل جزءاً من شكر النعمة الإلهية، كما تشكّل سلّماً في طريق الكمال النفسي والسموّ الروحي. وفيما يلي بيان أبرز هذه اللوازم:

1- المستوى العقدي والإيماني: أساس العلاقة

إنّ الإقرار بإمامته (عليه السلام) هو الركيزة الأولى التي ينبني عليها دين العبد وتديّنه، إذ يجب الاعتقاد الجازم بأنّه الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه الإمام الباقر (عليهما السلام)، وأنّ طاعته امتداد لطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

ومن هنا، كانت محبته (عليه السلام) ركناً أصيلاً في الإيمان؛ فهو القائل: **(هَلِ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحُبُ وَالْبُغْضُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ((حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ))[1])[2].**

ومعنى المحبة هنا أن يُقدَّم رضاه على رضا النفس والأهواء، وهذا هو لبّ الاتباع الحق.

2- المستوى العلمي والمعرفي: التعلم والتعليم

من لوازم الولاية طلبُ علمه الشريف، والسعيُ الحثيث لتلقّي ما صدر عنه من علوم في العقائد والفقه والأخلاق والتفسير. وقد قال (عليه السلام): **(لَيْسَ الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ إِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبِ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُبْدِيَهُ)[3].**

---

(1) سورة الحجرات، الآية 7.

(2) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج2 ص125.

(3) الطبرسي، علي بن الحسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص326.

وعليه، فالتحصيل العلمي لا يقف عند حدود التلقي، بل يتعدّاه إلى نشر علومه بين الناس، وبثّ معارفه وأحاديثه، ليكون المؤمن داعيةً إلى الحق بسيرته ولسانه، ومُعرّفاً بمقام إمامه بين العباد.

3- المستوى العملي والسلوكي: الاقتداء والتطبيق

لا معنى للولاية إن لم تُترجم إلى عمل وسلوك. فالاقتداء بسنته (عليه السلام) يعني أن تكون حياته قدوةً تُحتذى، وأن تُجعل أخلاقه مناراً يُهتدى به في العبادات والمعاملات والآداب.

فالمطلوب أن يكون المرء (صادقياً) في سلوكه، لا شيعياً بالاسم فحسب؛ وذلك بالالتزام بفقهه وأحكامه الشرعية المنقولة عن رواته وتلامذته، وبالرجوع في عصر الغيبة إلى المرجعية الدينية العليا التي تمثّل امتداد خطه.

4- المستوى الروحي والعبادي: التقرب والاتصال

الارتباط الروحي بالإمام الصادق (عليه السلام) يتجلّى في الصلاة والسلام عليه، وفي زيارته من قربٍ أو بُعد، فإنّ الزيارة تجدد العهد وتعمّق الولاء وتقرّب العبد من شفاعته يوم القيامة.

كما أنّ التوسل به، والاعتقاد بأنّه وسيلة إلى الله وواسطة فيضه، له أعظم الأثر في تزكية النفس، وصياغة الشخصية المؤمنة، وفتح أبواب الكمال الإنساني. وقد ورد في الحديث الشريف: **(مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ)**[1].

5- المستوى الاجتماعي والدعوي: نشر منهجه

من مقتضيات الولاء الدفاعُ عن مقامه الشريف، وردّ الشبهات المثارة حوله وحول المذهب، بالحكمة والموعظة الحسنة. بل إنّ التخلّق بأخلاقه (عليه السلام) هو في ذاته صورةٌ من صور الدفاع عن المذهب الحق، كما قال (عليه السلام): **(يَا زَيْدُ خَالِقُوا النَّاسَ**

(1) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، ج4 ص576.

بِأَخْلَاقِهِمْ صَلُّوا فِي مَسَاجِدِهِمْ وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا الْأَئِمَّةَ وَالْمُؤَذِّنِينَ فَافْعَلُوا فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَالُوا هَؤُلَاءِ الْجَعْفَرِيَّةُ رَحِمَ اللَّهُ جَعْفَراً مَا كَانَ أَحْسَنَ مَا يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ وَإِذَا تَرَكْتُمْ ذَلِكَ قَالُوا هَؤُلَاءِ الْجَعْفَرِيَّةُ فَعَلَ اللَّهُ بِجَعْفَرٍ مَا كَانَ أَسْوَأَ مَا يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ)[1].

ويتأكّد هذا الواجب بإحياء أمره، عبر إقامة المجالس لذكراه، ونشر تراثه العلمي، والاحتفاء بولادته، وإحياء ذكرى شهادته.

6- المستوى الوجداني والعاطفي: إظهار الحب والتأسي

لا يكتمل الولاء إلا بمشاركة الإمام (عليه السلام) في أحواله: حزناً لحزنه، وفرحاً لفرحه. فالبكاء على مصيبته، والتأسي بظلامته، من أبرز صور الارتباط القلبي به، كما أنّ الفرح بمولده، وإظهار السرور بولادته، شكرٌ لله تعالى على نعمة وجوده في الأمة.

الخاتمة

إنّ حياة الإمام الصادق (عليه السلام) هي الصورة الأكمل للإنسان الإلهي، والمثال الأسمى للقيادة الربانية. فهو العالم العامل، العابد القائد، الزاهد المجتهد، الحليم الشجاع، وهو قدوة في كل مفصل من مفاصل الحياة: في المسجد، في المدرسة، في السوق، في البيت، في مواجهة الطغاة، وفي التعامل مع الصديق والعدو.

ومن هنا، فإنّ أعظم دروسه أنّ الإسلام دينُ حياةٍ متكامل، لا ينفصل فيه العلم عن العمل، ولا السياسة عن الأخلاق، ولا الدنيا عن الآخرة. والطريق إلى هذا الكمال هو الاقتداء بهدي المعصومين (عليهم السلام)، الذين جسّدوا هذا المعنى أرقى تجسيد.

---

(1) ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج1 ص383.